

ضابط القياس في توجيهات الأخفش النحوية

إعداد

د. حمادة عبدالحكيم سالم

ملخص باللغة العربية:

ضوابط التوجيه النحوي هي القواعد الضابطة للأوجه الإعرابية، و التي ترد دائما عند النحاة في سياق التعليل النحوي، وتأتي لتقرير التوجيه أو تعليله أو الاستدلال عليه، أو الاحتجاج له^(١)، والسماع هو أحد تلك الضوابط المنهجية التي التزم بها النحاة عند النظر في المادة اللغوية (سماعا كانت أم استصحابا أم قياسا)، وقد اعتمد الأخفش على عدة ضوابط نحوية في توجيهاته كان أكثرها استعمالا: القياس فالسماع، ثم الصنعة النحوية التي جاءت واضحة قوية في توجيهاته؛ وكان يعتمد - بكثرة - واضحة على المطرد في كلام العرب مما صدر عن القبائل الفصيحة، ولا يخرج عنها إلا نادرا، وقياسه على القليل الذي لا يكاد يذكر، ولم يعتمد على الشاذ بل كان يكشف عنه ويقرر بأنه لا يقاس عليه.

The controls of grammatical guidance are the rules that control the inflectional aspects, which are always mentioned by grammarians in the context of grammatical reasoning, and come to determine the guidance, justify it, infer it, or invoke it”, and hearing is one of those methodological controls that grammarians adhere to when looking at the article Linguistic (hearing, companionship, or analogy), and Al-Akhfash relied on several grammatical controls in his directives, the most used of which was: analogy and hearing, then the grammatical workmanship that came clear and strong in his directives; and he relied - abundantly - clearly on the regular in the speech of the Arabs, which was issued by Eloquent tribes, and he rarely deviates from it, and his measurement is based on a few that can hardly be mentioned, and he did not depend on the anomaly, but rather he revealed it and decided that it was not measured against it.

(١) د.تمام حسان: الأصول -دراسة إبستمولوجية للفكر اللغوي عند العرب، ط١، ٢٠٠٠م، الهيئة العامة للكتاب،

مصر، ص ١٩٠.

مقدمة:

الحمد لله العلي الأعظم العزيز الأكرم، الذي علّم بالقلم علّم الإنسان ما لم يعلم، والصلاة والسلام على سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً، ثم أما بعد،،،

فعندما بدأت بوادِر اللّحن تظهر على الألسنة في البصرة نتيجةً لاختلاط العرب بالأعاجم؛ فكّر المخلصون من الغيارى على اللغة في وضع ضوابط وقوانين تحفظها من الفساد والذوبان في لغات الأمم الأخرى، وأصبح لزاماً على من يبتغى وضع هذه القوانين من استقراء كلام أهلها، ليتمكن من كشف أسرارها ومعرفة خصائصها بالسماع والنقل عن الناطقين بها، ومن ثمّ تعويد القواعد الضابطة المتفقة مع واقع اللغة.

وقد اتّجه علماء النحو إلى القرآن الكريم بوصفه المصدر الأول والمنبع الغزير الذي أثريت به اللغة؛ وقاموا بشرح القرآن لغويّاً، وكانت عنايتهم به وبقراءاته وتفسيره عناية جليّة؛ ونحن بأمس الحاجة إلى الإمام بكتب تراثنا القديم؛ لذا وجدتُ أن أقف على مصدر عظيم من كتب النحو والتفسير، وهو كتاب (معاني القرآن) للأخفش الأوسط، والذي سبقه في هذا المجال كتابُ (مجاز القرآن) لأبي عبيدة معمر بن المثنى، و تلاه كتاب الفراء (معاني القرآن)، ثم جاء بعده الزجّاجُ فصنّف كتابَ (معاني القرآن وإعرابه).

وقد استمدّ علماء النحو قواعده من كتاب الله تعالى ومن كلام العرب، فإذا ثبت قرآنية القرآن بالرواية المقبولة، كان القرآن هو الحكم على علماء النحو، وكان تعييدهم للقواعد بالرجعة إليه وجوباً^(١)؛ واللفظة إذا وجدت في القرآن فهي أفصحُ مما في غيره؛ فهو الأصلُ الذي يُرجع إليه في بناء قواعد اللغة.

أما ضوابط التوجيه النحوي فنُعدُّ إحدى العوامل المؤثرة في الدرس النحوي - على اختلاف فروعهِ - وفي بناء أحكامه المختلفة، وهي مرتكز هام من المرتكزات التي أدّت إلى اتّساع دائرة

(١) الزرقاني، مناهل العرفان، ج 1، ص ٤٢٢.

الخلافاً بين النحاة، وهي مؤشر لمرحلة ازدهار النحوي، وسلامة الفكر الناصح الذي تميز به النحاة المتقدمون والمتأخرون.

وقد تَرَدَّدَتْ قواعد التوجيه عند أبرز النحاة، وجاءت في مختلف مباحثهم لِمَا لَهَا من أهمية في الاستدلال على صِحَّةِ ما تَرَاهُ المدرسة النحوية، أو يَرَاهُ النَّحْوِيُّ في مَسْأَلَةٍ مَا؛ و أبرز الكتب النحويَّة التي تشيع فيها ضوابط التوجيه وتتردد بصورة جليَّة هي كتب المسائل الخلافية، وعلل النحو، إلى جانب كتب معاني القرآن والمؤلفات النحوية التي اهتمت بالتعليل النحوي في منهجها، ثم سائر الكتب النحوية الأخرى، وضوابط التوجيه هي أحد مكونات علم أصول الفقه والنحو معاً، وقد نشأت في أحضان أصول الفقه، ثم تَلَفَّهَا النَّحَاةُ، وكان لها أثر كبير في منهج التفكير النحوي لجماعة الأصوليين من النَّحَاة.

وهي : قوانين تضبط ما ذكره النحاة من توجيه، وتتنظر له، وقد صيغت إما للاستدلال على الحكم، أو تعليله لتقرير هذا الحكم، أو نفيه، وهي في الحقيقة القواعد الضابطة لهذه الأوجه، والمؤثرة في الاختيار، وتفضيل أحدها على الآخر، و ترد دائماً عند النحاة في سياق التعليل النحوي، إلا أنَّ لها وظيفتين عند النحاة في سياق التعليل، وقد زاد بعضهم أكثر من ذلك، فقد ذكر لها الدكتور عبدالله الخولي أربعة وظائف، هي: تقرير التوجيه أو تعليله أو الاستدلال عليه، أو الاحتجاج له^(١)

ولكن الواضح أنَّ التعليل هو سياقها العام الذي لا ينفك عن هذه القواعد، ومدار وظيفة قواعد التوجيه يكون في الاستدلال، وهو خاص بالحكم النحوي إذا اعتبرنا تعريف التوجيه، والوجه على ما بيَّناه. أمَّا توظيف النحاة لها فمعلوم للقارئ أنَّ السياق سياق تعليل لكن هذا السياق سيق لأمر متعددة كالاحتجاج على ما يراه النحوي من آراء، أو التوجيه الإعرابي، أو الترجيح بين الآراء، أو ردِّها، وهو ما يدخل ضمن الخلاف النحوي.

ويعدُّ الأستاذ الدكتور/تمام حسان أوَّل من أطلق على هذه القواعد مصطلح (قواعد التوجيه)، وقد عرَّفها قائلاً بأنَّها: " تلك الضوابط المنهجية التي وضعها النحاة ليلتزموا بها عند

(١) د.تمام حسان: الأصول -دراسة إبستمولوجية للفكر اللغوي عند العرب، ط ١، ٢٠٠٠م، الهيئة العامة للكتاب،

النظر في المادة اللغوية (سماعا كانت أم استصحابا أم قياسا) التي تستعمل لاستنباط الحكم^(١). والملاحظ في هذا التعريف أنّ قواعد التوجيه تصاحب أصول النحو من حيث إنها ترد عند النظر في المادة اللغوية سماعاً كانت أم استصحاباً أم قياساً التي تعد مصادر النحو التي يقوم منها استنباط الأحكام النحوية، بمعنى أنها أصل من الأصول التي يتوصل بها إلى الحكم كالسماع، والقياس، وغيرهما، كما تلاحظ أنّ الأستاذ قد بيّن سبب هذا الاصطلاح لها، فيقول : "وإنما آثرت أن أسمى هذه القواعد (قواعد التوجيه) لارتباطها بالتعليل، وبتوجيه الأحكام عند التأويل، واعتبار وجه أولى من الآخر بالقبول حتى ليصلح أن تلحق به الألف، واللام فيسمى (الوجه)، أي الذي لا وجه أفضل منه، وقد يسمى أيضا (الراجح)، أو (المختار). الواضح أن سبب هذا الاصطلاح يعود عند الدكتور / تمام حسّان إلى تعليل الحكم أولاً، ثم توجيه الحكم ثانياً، فهذه القواعد هي التي تضبط التعليل، وتضبط التوجيه، مع أنّ التوجيه يتصل بالتعليل كما بيّنا سابقاً عند تعريف التوجيه؛ لأنّ النحوي ما إن يذكر الحكم يذكر معه ما يتعلق بالحكم من تعليل، وكل ما يصحبه من استدلال على الحكم، وترجيح بين الأحكام وغيره.

المبحث الأول

التعريف بالأخفش

اسمه، نسبه، لقبه:

هو سعيد بن مسعدة، كنيته أبو الحسن، يقال له: المجاشعي البلخي للبصري، فهو مجاشعي بالولاء، مولى لبني مجاشع بن دارم، بطن من تميم^(٢)، وهو بلخي لأنّ أصله من بلخ^(٣)، لكنه سكن البصرة ثم دخل بغداد وأقام بها مدة، وروى وصنف، ولما كانت أغلب حياته بالبصرة نسب إليها فهو من الذين رفعوا شأنها وأذاعوا علمها في الناس.

لقب أبو الحسن بالأخفش الأوسط، والأخفش معناه صغير العينين، ولم ينفرد بهذا اللقب لكنه كان أشهر من لُقّب به، ذلك أنّ هناك أحد عشر نحوياً من الأخفش؛ ذكرهم السيوطي في

(١) د. تمام حسان: الأصول، ص ١٨٩ - ١٩٠.

(٢) أبو سعيد السيرافي، أخبار النحويين البصريين، تحقيق: محمد إبراهيم البناء، دار الإعتصام، ط ١٤٠٥ / ١٩٨٥، ص ٦٦.

(٣) ياقوت الحموي، معجم الأدباء، تحقيق: إحسان عباس، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، ط ١، ١٩٩٣، ج ٣، ص ١٣٧٤.

المزهر^(١)، ومنهم النحوي واللغوي والقارئ والفقهاء... غير أن هذا اللقب عند إطلاقه إنما يراد به أبو الحسن سعيد بن مسعدة، وهو أوسط الثلاثة المشهورين به، فيقال له: "الأخفش الأوسط"، أما الأكبر فهو أبو الخطاب عبد الحميد بن عبد المجيد أحد شيوخ سيبويه، والأصغر هو: علي بن سليمان وهو أحد تلاميذ المبرد وثلعب، أما أبو الحسن فهو الأخفش الأوسط.

وقد وهبه الله من الخصال والصفات ما يؤهله لأن يكونَ عَلَمًا مرموقًا من أعلام البصرة، فلقد كان ذا جرأة أدبية ظاهرة، وهي الصفة التي استغلها ليتأثر لشيوخه سيبويه بعد إخفاق الأخير في المسألة الزنبورية^(٢) مع الكسائي، قال الأخفش: "لما دخل سيبويه إلى شاطئ البصرة وجه إلي فجننته، فعرفني خبره مع البغدادي (يقصد الكسائي)، وودعني ومضى إلى الأهواز، وتزودت وجلست في سمارية^(٣) حتى وردت إلى بغداد، فوافيت مسجد الكسائي، فصليت خلفه الغداة، فلما انفلت من صلاته، وقعد في محرابه، وبين يديه الفراء والأحمر وهشام وابن سعدان سألته عن مائة مسألة، فأجاب عنها بجوابات خطأته في جميعها، وأراد أصحابه الوثوب علي، فمنعهم من ذلك؛ فلما فرغت من مائة مسألة قال الكسائي: بالله أنت أبو الحسن سعيد بن مسعدة الأخفش؟ قلت: نعم، فقام إليّ وعانقني وأجلسني إلى جانبه^(٤)، ولم يكن الأخفش جريئًا مع أقرانه من العلماء فحسب، بل كان مع الأمراء أيضًا، قال أبو الحسن: كان أمير البصرة يقرأ ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَهٖ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ﴾^(٥)، بالرفع فيلحن، فمضيت إليه ناصحًا، فزيرني^(٦) وتوعدني، وقال: تلحنون أمراءكم! ثم عزل، وولي محمد بن سليمان، فكانه تلقاها من فم المعزول فقلت في نفسي: هذا هاشمي ونصيحته واجبة، فخشيت أن يلقاني بما لقيني به الأول، ثم حملت نفسي على نصيحته، فصرت إليه، وهو في غرفة، ومعه أخوه والغلمان على رأسه، فقلت: أيها الأمير، جنئت لنصيحة،

(١) جلال الدين السيوطي، المزهر في علوم اللغة وأنواعها، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم وآخرين، المكتبة العصرية، بيروت، لبنان، ١٩٨٧، ج ٢، ص ٤٥٣.

(٢) القصة بتفاصيلها أوردها: أبو البركات الأنباري، الإنصاف في مسائل الخلاف، تحقيق: محي الدين عبد الحميد، دار الفكر، بيروت، (د.ت)، ٧٠٢ / ٢.

(٣) سمارية: نوع من السفن.

(٤) الزبيدي، طبقات النحويين واللغويين، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف بمصر، ١٩٧٣، ص ٧٠.

(٥) سورة الأحزاب، الآية: (٥٦).

(٦) زيرني: انتهرني.

قال: قل، فقلت: هذا - وأومأت إلى أخيه - فلما سمع ذلك قام أخوه، وفرق الغلمان عن رأسه وأخLANني، فقلت: أيها الأمير، أنتم بيت الشرف وأصل الفصاحة، وتقرأ: "إن الله وملائكته" بالرفع، وهذا غير جائز، فقال: قد نصحت، ونبعت، فجزيت خيراً، فانصرف مشكوراً".

ولا غرابة في ذلك؛ فالأخفش هو أول من فتح باب الخلاف على شيخه سيبويه، إذ كان ثاقب الذهن، حاد الذكاء، فخالف أستاذه في كثير من المسائل؛ وقد تأثر به أعلام الكوفيين ووافقوه في كثير من المسائل؛ لذا عدّه بعض الدارسين المؤسس الحقيقي للمذهب الكوفي^(١).

فأمّا العلم بالقرآن والنحو، فيدل عليهما كتابه "معاني القرآن" وفيه إمام واسع بالقراءات وفقه اللغة، وعلى الرغم من خلو هذا الكتاب من إشارات صريحة إلى أعلام القراءات والنحو، لكن بصمات شيوخ الأخفش بارزة فيه واضحة، فقد أخذ عمّن أخذ عنه سيبويه لأنّه كان أسن منه، فصحب الخليل (ت ١٧٥هـ) قبل صحبتته لسيبويه^(٢)، وبعد الخليل لزم سيبويه، وأخذ عنه كلّ ما عنده، وهو الذي روى عنه كتابه، بل كان الطريق الوحيد إليه، إذ لا يعرف أحد سواه قرأه على سيبويه أو قرأه سيبويه عليه^(٣) وكان الأخفش يقول: "ما وضع سيبويه في كتابه شيئاً إلاّ وعرضه علي وهو يرى أنني أعلم منه، وكان أعلم به مني، وأنا اليوم أعلم به منه"^(٤)، ومن شيوخ الأخفش عيسى بن عمر النّفقي (ت ١٤٩هـ)، الذي كان عالماً بالعربية والقراءة، وقراءته مشهورة^(٥)، وقد تردد ذكره في المعاني سبع مرات، صرّح الأخفش في بعضها أنّه سمع عنه مباشرة^(٦) وكذلك يونس بن حبيب (ت ١٨٣هـ) الذي يعد من أكابر النحاة البصريين، أخذ عن أبي عمرو بن

(١) صلاح روي، النحو العربي، (نشأته، تطوره، مدارسه، رجاله)، دار غريب، القاهرة، ٢٠٠٣، ص ٢٧٨.

(٢) الزبيدي، طبقات النحويين واللغويين، ص ٧٣.

(٣) الزبيدي، طبقات النحويين واللغويين، ص ٦٦.

(٤) ياقوت الحموي، معجم الأدباء، تحقيق: إحسان عباس، ج ٣، ص ١٣٧٥.

(٥) لا يراد بـ "مشهورة" المعنى الاصطلاحي للقراءة، إنما المقصود أنها معروفة بين الناس. ينظر: ابن الأنباري،

نزهة الألباء في طبقات الأدباء، تحقيق: إبراهيم السامرائي، مكتبة المنار، الزرقاء، الأردن، ط ٣، ١٩٨٥، ص ٦٤.

(٦) الأخفش الأوسط، معاني القرآن، تحقيق: فايز فارس، ط ٢، ١٩٨١، ١ / ١١٩، ٢ / ٥٤١.

العلاء، وأخذ عن سيبويه^(١) وقد ذكر المازني أن الأخفش كان أعلم الناس بالكلام وأحذقهم بالجدل^(٢)، وقد بدا هذا واضحا في آرائه النحوية وبخاصة عنايته بالتعريفات والحدود^(٣).

واختلف المؤرخون في تاريخ وفاة أبي الحسن، لكنها محصورة في الفترة ما بين (٢٠٧-٢٢٥هـ) أي خلال العقد الأول أو الثاني من القرن الثالث للهجرة^(٤).

ولم يكن الأخفش الأوسط عالما من الطراز المحلي فقط، بل كان عالميا، فهو وإن كان بصريا، لكن علمه بلغ حواضر الدولة الإسلامية عصرئذ كمثل بغداد والكوفة، فأفاد من علمه البصريون والكوفيون على السواء، فعلى يده تخرج المازني (ت ٢٤٧هـ) والجرمي (ت ٢٢٥هـ) والسجستاني (ت ٢٥٠هـ) وغيرهم من البصريين، وعنه أخذ الكسائي (ت ١٨٩هـ) إمام الكوفيين، وقد أشارت كتب الطبقات إلى ما يناهز سبعة عشر كتابا من مؤلفاته^(٥)، وهي: في النحو: الأوسط في النحو، المقاييس في النحو، المسائل؛ ومنها ما هو في اللغة والغريب نحو: كتاب صفات الغنم وألوانها وعلاجها وأسنانها، كتاب غريب الحديث، كتاب الاشتقاق؛ أما في العروض فنصف: كتاب العروض، كتاب القوافي؛ ومنها ما هو في القرآن وعلومه نحو: معاني القرآن، الواحد والجمع في القرآن، وقف التمام.

وهذه هي أشهر كتب الأخفش الأوسط، وهي مفقودة في معظمها ليس منها إلا ثلاثة^(٦)

وهي: معاني القرآن، والعروض، والقوافي.

القياس قسمان:

- استقرائي: يقوم على مدى اطراد الظاهرة في النصوص اللغوية مروية أو مسموعة، واعتبار ما يطرد من هذه الظواهر قواعد ينبغي الالتزام بها، ومن ثم رفض الأخذ بالظواهر الشاذة

(١) الأخفش، معاني القرآن، ١/ ١٦٢، ٢/ ٢٩٥.

(٢) الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج ١٠، ص ٢٠٦.

(٣) شوقي ضيف، المدارس النحوية، ص ٩٥.

(٤) السيوطي، المزهرة، ١/ ٨٣، ٢/ ٤٦٣، والسيرافي، أخبار النحويين البصريين، ص ٦٦.

(٥) ينظر على سبيل المثال: ابن النديم، الفهرست، ١/ ٧٧، وابن خلكان، وفيات الأعيان، ٢/ ٣٨١.

(٦) الأخفش، معاني القرآن، تحقيق: عبد الأمير محمد أمين الورد، عالم الكتب، بيروت، ط ١، ١٩٨٥، مقدمة التحقيق، ص ١٣.

- شكلي وهو عملية شكلية يتم فيها إلحاق أمر بآخر لما بينهما من شبه أو علة، فيعطي الملحق حكم ما ألحق به، و يقوم على أربعة أركان: مقيس ومقيس عليه والجامع بينهما والحكم^(١) وقد استمرّ القياس الاستقرائي طيلة ثلاثة قرون، من بداية نشوء علم النحو حتى عصر ابن جني، أمّا الشكليّ فظهر بصورة واضحة في عهد ابن الأنباري.

إذاً القياس عند الأخفش الأوسط سيكون استقرائياً، و لن يكون بنفس درجة الطبقات الأولى من البصريين؛ ذلك أنه شهد تطوراً ملموساً على يد الخليل وسيبويه، و سيشهد أكثر من ذلك عند أبو الحسن الأخفش، فإذا كان الخليل وسيبويه لم يقيسا على الشاذ والناذر وحفظهما الخليل أو أولهما، فإن الأخفش قاس على غير المسموع واعتدّ بالشاذ؛ ولذلك قيل إنّ الأخفش وسّع دائرة القياس بل أصبح قياسه مرادفاً للرأي الذي يكون معللاً أحياناً وغير معلل أخرى^(٢).

وقد تضمن القياس اللغوي عند الأخفش صوراً منها :

١- القياس على المطرد:

إنّ الأخفش - وإن نسب إليه - توسيع دائرة القياس لكن ذلك لا يعني إهماله للأصل الذي جرى عليه اللغويون والنحاة في قياسهم، وهو البناء على كلام العرب المطرد الثابت المسموع، ويتضح ذلك في النماذج الآتية:

* حكم "من" في قوله سبحانه وتعالى: ﴿يُخْرِجُ لَنَا مِمَّا تُنْبِتُ الْأَرْضُ﴾^(٣)

وهذا جارٍ على كلام العرب، ويورد الأخفش أمثلة: "تقول في الكلام: أهل البصرة يأكلون من البر والشعير، أو ذهبت فأصبت من الطعام، تريد شيئاً، أو هل جاءك من رجل؟ تريد: هل جاءك رجل وتقول العرب: قد كان من حديث فحلّ عني حتى أذهب. يريدون: قد كان حديث"^(٤) حديث^(٤)

(١) علي أبو المكارم، أصول التفكير النحوي، ص ٢٧.

(٢) شوقي ضيف، المدارس النحوية، ص ٩٩، ١٠٠.

(٣) سورة البقرة: الآية (٣١).

(٤) الأخفش، المعاني، ١/ ٩٨.

* قوله تعالى : ﴿ فَمَا رِيحَتْ تِجَارَتُهُمْ ﴾^(١)

والذي لم يربح هو الإنسان وليس التجارة . يقول الأخفش " : فهذا على قول العرب : خاب سعيك ، وإنما هو الذي خاب"^(٢).

* قوله تعالى : ﴿ وَظَلَّلْنَا عَلَيْكُمُ الْغَمَامَ وَأَنْزَلْنَا عَلَيْكُمُ الْمَنَّ وَالسَّلْوَى ﴾^(٣)

السلوى : طائر ، قال الأخفش " : لم يسمع له بواحد " ثم قاسه على "دفلى" و " حبارى " التي يطلق فيها الواحد على الجماعة سواء . واستدل بقول الفرزدق: (من الطويل)

وَأَشْلَاءَ لَحْمٍ مِنْ حُبَارَى يَصِيدُهَا إِذَا نَحْنُ شَيْئًا صَاحِبٍ مُتَأَلِّفٍ^(٤)

* قوله تعالى : ﴿ ثَمَانِيَةَ أَزْوَاجٍ مِنَ الضَّأْنِ اثْنَيْنِ ﴾^(٥)

الضأن : جمع مفردة ضأن ، يقبسه الأخفش على : صاحب وصحب وتاجر وتجر ، ثم يضيف " : وقال بعضهم : ضأن ومَعَزٌ . جعله جماعة الضائن^(٦) والماعز مثل : خادم و خَدَم ، حَافِدٍ وَحَفْدَةٍ مثله ، إلا أنه ألحق فيه الهاء^(٧).

* قوله سبحانه : ﴿ إِنَّ رَحْمَةَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِنَ الْمُحْسِنِينَ ﴾^(٨)

(١) سورة البقرة: الآية (١٦).

(٢) نفسه، ٤٧ / ١ .

(٣) سورة البقرة: الآية (٥٧).

(٤) رواية المفصل:

وَأَشْلَاءَ لَحْمٍ مِنْ حُبَارَى يَصِيدُهَا إِذَا نَحْنُ شَيْئًا صَاحِبٍ مُتَأَلِّفٍ

ينظر: ابن يعيش، شرح المفصل، إدارة الكباعة المنيرية، مصر، (د.ت)، ٥ / ٩٠ .

(٥) سورة الأنعام: الآية (١٤٣).

(٦) الضَّائِن من الغنم: ذو الصوف، ويوصف به، فيقال: كبش ضائن، والأنثى ضائنة، والضائن: خلاف الماعز،

والجمع: الضَّائِن، والضَّائِن، والمَعَز، والمعَز. ينظر: ابن منظور، اللسان، ١٣ / ٢٥١، مادة: ضأن.

(٧) الأخفش، المعاني، ٢ / ٢٩ .

(٨) سورة الأعراف: الآية (٥٦).

يعلل الأخفش تذكير "قريب"، وهي صفة الرحمة عندما يقيس ذلك على كلام، العرب الذين سُمع عنهم ، عندما يقولون: ریح خريق^(١)، ملحفة جديد ، شاة سديس^(٢) وله تعليلات أخرى غير هذه^(٣).

ولا يكتفي أبو الحسن بأن يحتكم إلى كلام العرب ويقيس عليه ، بل يعلل لهذا المسموع الثابت ويؤوله ، من ذلك:

* ما جاء في قوله تعالى : ﴿ فَمَنْ تَبِعَ هُدَايَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ ﴾^(٤)

يقول: "ولغة للعرب يقولون: عَصِيَّ يا فتى ، ﴿ هُدَيَّ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ ﴾^(٥) لما كان قبلها (أي الياء) حرف ساكن وكان ألفًا ، قلبته إلى الياء ، حتى تدغمه في الحرف الذي بعده ، فيجرونها مج [?] رى واحدا وهو أَخَفَ عليهم^(٦).

وقد لا يعلل وإنما يعطيها المعنى المناسب ، من ذلك المعاني التي يتضمنها الفعل "هدانا" من قوله تعالى: ﴿ الَّذِي هَدَانَا لِهَذَا ﴾^(٧)

يقول: "وتقول العرب : هو لا يهندي لهذا أي لا يعرفه ، بنو تميم يقولون : هديت العروس إلى زوجها جعلوه في معنى : دللتها ، قَي [?]س [?]قول : أهديتها ، جعلوه بمنزلة الهدية.

٢- القياس على القليل:

يقر الأخفش أحيانا بأن هذا قليل ومع ذلك لا يهمله ، ففي قوله تعالى ﴿إِلَّا مَا دُمَّتْ عَلَيْهِ قَائِمًا﴾^(١)

(١) ریح خريق: إذا اشتد هبوبها وتخللها المواضع، ينظر: ابن منظور، اللسان، ١٠ / ٧٤، مادة: خرق.

(٢) شاة سديس: أي أتت عليها السنة السادسة، ينظر: ابن منظور، اللسان، ٦ / ١٠٤، مادة: سدس.

(٣) الأخفش الأوسط، معاني القرآن، ص ٣٠٠.

(٤) سورة البقرة: الآية (٣٨).

(٥) قرأ عاصم الجحدري وعبد الله بن أبي إسحق وعيسى بن عمر "هُدَيَّ" بقلب الألف ياء وإدغامها في ياء المتكلم، المتكلم، وهي لغة هذيل. ينظر: أبو حيان، البحر، ١ / ٣٢٢.

(٦) المصدر السابق: ١ / ٦٩.

(٧) سورة الأعراف: الآية (٤٣).

يقول: "لأنها من دُمْتَ ، تَدُومُ" ، ولغة للعرب " دِمْتَ " ، وهي قراءة^(١)، مثل: مِتَّ " ، تَمُوتُ ، عليه على " فَعِلَ ، يَفْعُلُ ، فهذا قليل^(٢).

٣- القياس على المجهول:

وليس كل ما يقيس عليه أبو الحسن معلوما ثابتا بل قاس على المجهول ، حتى إن هذا الشاهد عرف به . يقول: "زعموا أن تفسير "أكاد" (هو) أريد ، وأنها لغة ، لأن "أريد" قد تُجعل مكان "أكاد" مثل قوله تعالى ﴿إِلَّا مَا دُمْتَ عَلَيْهِ قَائِمًا﴾^(٤) أي يكاد أن ينقض ، فكذلك "أكاد" إنما هي "أريد" ، قال الشاعر^(٥): (من الكامل)

كَادَتْ وَكِدْتُ وَتِلْكَ خَيْرُ إِرَادَةٍ لَوْ عَادَ مِنْ لَهْوِ الصَّبَابَةِ مَا مَضَى^(٦)

٤- ليس كل ما يسمع يقاس عليه لشذوذه:

ذكر الأخفش في "ابن أم" الواردة في قوله تعالى: ﴿قَالَ يَا ابْنَ أُمَّ إِنَّ الْقَوْمَ اسْتَضَعُّونِي﴾^(٧)

فاعملها معاملة الاسم الواحد مثل قولهم: "ابن عم أقبل" ، ولذلك قال عنها: " وهذا لا يقاس عليه " ، فصارت "ابن أم" في رأيه من قبيل المطرد في السماع الشاذ في القياس^(٨).

(١) سورة آل عمران: الآية (٧٥).

(٢) قرأ أبو عبد الرحمن السلمي ويحي بن وثاب والأعمش وغيرهم "دِمْتَ" بكسر الدال وهي لغة تميم، ينظر: أبو حيان، البحر المحيط، ٢/ ٥٢٤.

(٣) الأخفش، المعاني، ١/ ٢٠٧.

(٤) سورة الكهف: الآية (٧٧).

(٥) البيت مجهو القائل، ينظر:

- ابن جني، المحتسب في تبیین شواذ القراءات، تحقيق: على النجدي ناصف وعبد الفتاح شلبي، القاهرة، ١٣٨٦هـ، ٢/ ٣١، ٤٨.

- ابن الأنباري، الأضداد، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، ص ٩٧.

(٦) الأخفش، المعاني، ٢/ ٣٧١.

(٧) سورة الأعراف: الآية (١٥٠).

وكما سمع عن بعض العرب فتح همزة " إن " دون مسوغ في قوله تعالى: ﴿ أَفَلَا يَعْلَمُ إِذَا بُعْثِرَ مَا فِي الْقُبُورِ * وَحُصِّلَ مَا فِي الصُّدُورِ * إِنَّ رَبَّهُم بِهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّخَبِيرٌ ﴾ (٢) يعقب الألفحش على هذا قائلًا: وهذا غلط قبيح (٣).

الخاتمة:

الألفحش في قياسه على النصوص:

١- يعتمد - بكثرة - واضحة على المطرد في كلام العرب مما صدر عن القبائل الفصيحة ولا يخرج عنها إلا نادرا.

٢- قياسه على القليل لا يكاد يذكر.

٣- لم نلمس في هذا الشق من القياس اعتماده على الشاذ بل إنه يكشف عنه ويقرر بأنه لا يقاس عليه.

(١) الألفحش، المعاني، ٢ / ٣١٠.

(٢) سورة العاديات: الآيات (٩ : ١١).

(٣) نفسه، ٢ / ٣٢٠.